

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم الجواد خالق البلاد والعباد. وجاعل من لقاء الأزواج فلذات الأكباد . ووعد الصالحين من الأباء والذرية بالفوز يوم التتاد : وأنزل فى محكم آياته ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ (غافر:31) ولما كان الأطفال هم رجال المستقبل وأمل الأمة الساطع وثمرها الدانى : كان مما تفرد به الإسلام الحنيف فى منهجه القويم العناية بالطفولة حتى قبل الإنجاب حيث أمر الزوج أن يحسن اختيار الزوجة : ووضع الضوابط والمعايير اللازمة لذلك .

فقال رسول الإسلام ﷺ (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) (البخارى ومسلم) كما أمر الزوجة أن تحسن اختيار الزوج فقال ﷺ : (اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) (الإمام مسلم) كما حذر ﷺ الرجل بقوله : (إياكم وخضر الدمن ، قالوا وما خضر الدمن يا رسول الله ؟ قال ﷺ المرأة الحسناء فى المنبت السوء) (الإمام البخارى) وبهذا البيان الشافى نجد أن الإسلام لم يعتن بالطفل منذ مولده فقط : بل انه يراعاه فكره : ويحتضنه غيبا ويخطط مستقبله : وهو لم يزل أمنية هائمة فى ضمير الغيب فبمجرد أن يفكر الأب فى الزواج وتكوين الأسرة يبتدئ الإسلام بتحديد وبيان معالم هذه الأسرة فنجد حثه على طيب المحضن : وأفضل

الرضاعة وبيان مدتها: والحفاظ على حياة الطفل وهو منهج لا يضاهاى
فى قول الحق سبحانه ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ
قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (الاسراء: 31) ومداد الرحمة فى قول رسول
الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) (الإمام مسلم)
وفى الأثر: (الولد الصالح ثمرة الأسرة الصالحة) وقد بين
الفاروق عمرؓ الغاية من الزواج بقوله: (والذى نفسى بيده إنى لاكره
نفسى على الجماع بغيه أن يخرج الحق جل شأنه نسمة من ظهري تسبح
بحمده وتذكره) وقد توالى الآيات والنصوص التى تحث على الحفاظ
على الطفل وحسن تربيته ورعايته: وقال نبى الرحمة ﷺ: (أدبوا
اولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم: وحب آل بيته وتلاوه القرآن:
فان حمله القرآن فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل الا ظله مع أنبيائه
وأصفيائه) (أخرجه الطبرانى عن الإمام على كرم الله وجهه)
وللطفولة فى الإسلام عالمها الجميل، الملى بالبهجة والجمال، والأحلام
والسعادة والحب، وإن حديث القرآن والسنة، عن الطفولة ليفيض
بالمودة والنبيل، وإن موضوع الطفولة إنما هو موضوع الساعه، وهو
جدير بان يعتنى به دائما؛ لأنهم رجال المستقبل، الذين تتعقد عليهم
الآمال لمستقبل مشرق جميل وليكن معلوما للجميع أننا لو تدبرنا أحوال
الأطفال والشباب فى وقتنا الحاضر، وما ينجم عن سلوكهم فى
المجتمع، من سوء تصرف وسلوك، وانحراف عن الصواب فإن مرجع
كل هذا، إنما هو بعدهم عن التمسك بالدين وتعاليمه، وبعد الأسرة

عن انتهاج التعاليم الدينية الاسلامية ، وأنه لا صلاح للأمة إلا فى تمسكها بكتاب الله ، وسنه رسوله ﷺ وقد قال الأولون : ان أعظم حلول مشاكل الغد ، إنما هى فى بناء أطفال اليوم ، ومن الأقول المأثوره فى هذا الشأن أن (الولد الصالح ثمرة الأسرة الصالحة). وأن (أولادنا غراس حياتنا ، وقطوف آمالنا وقره عيوننا). ويقول الله تبارك وتعالى :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف:46) .

ويقول الرسول ﷺ : (الأطفال دعاميص⁽¹⁾ الجنة)

وقوله ﷺ أيضا : (الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة) .

وقال الشاعر

إنما أولادنا بيتنا أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

ومن هذا المنطلق أحببت أن أسهم ببحث فى هذا المجال ، حيث تعقد المؤتمرات هنا وهناك لبحث مشاكل الطفولة، وقد انعقد أخيرا أول قمه عالمية للطفولة فى مقر الامم المتحدة ، حضرها رؤساء دول وحكومات أكثر من 70 دولة من مختلف انحاء العالم ، وكذلك ممثلو الهيئات والمنظمات الدولية ، المهتمة بالطفولة ، ودارت مناقشة قضايا الأطفال ، والمشاكل التى تحيط بهذا الجيل الصاعد ، ولفت أنظار

(1) الدعاميص: نوع من الفراشات الجميله .

القيادات السياسييه إلى قضايا حماية الأطفال من الآثار المتزايدة للمشاكل العالمية ، وعلى رأسها الحروب والعنف ، والفقر والمديونية ، وتدهور البيئه ، وانتشار المخدرات .

كما أعلنت بنود حقوق الطفل ، لصالح صحته ، وتعليمه وغذائه ، وحمايته من التلوث ، ومن الأمراض . وقد اخترت بحثى تحت عنوان : (عناية الإسلام بالطفولة حتى قبل الإنجاب) لأقدمه إلى المهتمين بالطفولة ، إسهاما فى بناء مستقبل باهر مشرق ، وقد استعرضت فيه بعض النقاط الهامة فى تربية الطفل منها : كيف اعتنى الإسلام بالطفل قبل ولادته ؟ والحفاظ على حياة الطفل ، ونظرة الإسلام للرضاعة الطبيعية وأهميتها ...والإسلام والحجر الصحى ، والمعلم القدوة وتأديب الطفل . وفضل النظافة ، والتغذية السليمة للطفل إلى غير ذلك من النقاط التى يقف عليها القارئ العزيز فى هذا البحث المتواضع .

وأرجو من الله العلى القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يحوز الرضا والقبول ، وأن ينفع به ، وإن كنت قد وفقت فالحمد لله رب العالمين ، وإن كانت الأخرى فالتقصير والتقصير من شأن البشر ، والكمال لله وحده .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قره أعين

خادم القرآن

محمد محمود عبدالله

اهتمامات الإسلام بالطفولة قبل الولادة

من الثابت في الإسلام رعايته للطفولة قبل أن تكون جنينا في بطون الأمهات ، حيث أمر الإسلام الرجل بأن يحسن اختياره لزوجته المنشودة ، وحتى تكون الذرية سالحة ، هذه الذرية التي ستكون عماد المستقبل ، فرغبه في اختيار المرأة المتدينة ، ذات الحسب والنسب ، الجميل الخلق والخلق فقال ﷺ : (تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك) (1) .
وتبين لنا : أن جمال المرأة أو حسبها ، أو مالها ليس هو كل شيء ، بل لا بد أن ينضم إلى أي من ذلك : كونها صاحبة دين ، من بيت كريم ، من عنصر طيب ، لأن أولادها سيرثون من أخلاقها ، وصفاتها ، وسلوكها .

وفي الحديث الشريف: (من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلها ، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه) (2) .

(1) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريره ؓ . وتربت يداك : كلمه تفيد الحث والتحريض والدعاء له بكثرة المال ، وصار المعنى : اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال وغيره .

(2) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس .

كما نهى الإسلام عن الزواج بالجميلة المظهر ، دون أن يؤازر هذا الجمال قيم أخلاقيه وتربويه قال ﷺ : (إياكم وخضراء الدمن ، قالوا : وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الحسنه فى المنبت السوء) (1).

وقد شاهدنا كثيرا من مشكلات الحياة الزوجيه المعاصره ، من يعجب بالمال الكثير ويفره هذا نظرا لضيق ذات اليد فيقول عندها كذا وكذا ، ثم يقدم على حياته ثم بعد هذا تنقلب الحياة إلى جحيم لا يطاق ، ويترتب عليه ضياع الأسرة وفساد الحياة الزوجية وبالمقابل نجد أن سيدنا رسول الله ﷺ قد أرشد أولياء المخطوبة ، بأن يبحثوا عن الخاطب ، صاحب الدين ، والخلق الطيب الكريم ، حتى يمكنه أن يرفع الأسرة الجديدة رعايه كريمه كامله ، ويؤدى حقوق الزوجية والأولاد دون منغصات ، أو مشاكل ، وتستمر الحياة هنيهة سعيه ، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد) (2).

وليكن معلوما أن من حق الولد على أبيه أن يحسن اختيار أمه و أن يرفعها فى حملها به وينفق عليها فى أيام الحمل وبعده ، وأن يكسوها ، وأن يختار له اسما حسنا ، حتى لا يعير بذلك مستقبلا ،

(1) الدرر المنتثره فى الأحاديث المشتهره للسيوطى 3 .

(2) سنن الترمذى (386/3) برقم (1085).

والحياة تبرهن على ذلك بأن يعير الولد بأبيه أو بأمه إن كان أحدهما من عنصر خبيث أو أصل ردي .

قال رجل للحسن : (ممن أزوج ابنتي؟ قال :ممن يتقى الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لن يظلمها) (1). كما حثنا الشارع على تفضيل المرأة الأجنبية حتى لا تتجب نسلا ضعيفا، غير حامل لأمراض الوراثة فقال: (اعتبروا لا تضوا) أى: لا يهزل نسلكم.

وإذا ماعدنا إلى كتاب الله -تبارك وتعالى- نجده يشير إلى أن الطفل يتكون من نطفة أمشاج حيث يقول : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ (الانسان:2)

أى من جملة أخلاط من أب وأم، ومن الخصائص الوراثية للأسرتين. ومعنى هذا: أن الطفل المتباعد النسب بين أمه وأبيه، يكون أخصب عقلا، وأرحب فكرا، وأقوى جسما، وبذلك يكون الإسلام قد سبق العلماء الذين أثبتوا بعد ذلك بعده قرون ما للوراثة من أثر، مؤكداً أنه إذا ما تم اختيار الزوجين على أساس سليم، كان الأولاد هبة من الله لهما، وزينه الحياة الدنيا.

(1) مختصر منهاج القاصدين للدهمان 78.

وانطلاقاً من هذا المبدأ أجاب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سؤال لأحد الأبناء لما سأله: (ما حق الولد على أبيه؟ بقوله: أن ينتقى أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن) (1).

وإذا كان الطفل يحمل خصائص الخثولة والعمومة، وعناصر الأبوة والأمومة، ويمتص بجزوره الوراثة ما قد علق، أو ترسب في بؤرة مغرسه وغارسه، كان لابد للإسلام من أن ينظم هذه العلائق؛ ليحفظ على الطفل جلاله ومهابته، وينظف له أخلاقه ووراثته؛ ليخرج إلى الناس والمجتمع، لا تشوبه شائبة، أو يشينه ما يشين، أو يحط من قدرة سلوك، أو يلحق به سوءات آباءه وأجداده، وذويه من الناحيتين: ناحية الأب، وناحية الأم؛ لأن العرق دساس، أو نزاع كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم محمد

الأسرة في ظل الإسلام

إن الإسلام لا يعتنى بالطفل فقط من يوم مولده، بل إنه يراعاه فكره، ويحضنه غيباً، ويخطط مستقبله، ولم يزل أمنية هائمة في ضمير الغيب، فبمجرد تفكير الأب في الزواج، وتكوين الأسرة، يبتدئ الإسلام يحدد له معالم الطريق، وإن الأسرة في الإسلام لها نظام بديع، غاية في الحسن والارتقاء، ولها خطورتها ومكانتها ولهذا كان لا بد للإسلام من أن يصحح أول لبنة من لبناتها، والزواج مرحلة جديدة في

(1) تربيته الأولاد في الإسلام (38/1)

بناء الأسرة، وعناية الإسلام بهذه اللبنة تعنى سلامة ما يترتب عليها من حياة مستقرة هانئة سعيدة، ومستقبل زاهر مشرق.

حب الأبوين:

الطفل ثمره اللقاء بين الأبوين والأبوة والأمومة معنيان نبيلان أودع الله فيهما من رحمته و مودته وسكب عليهما من لطفه وبره ما أورثهما معنى التلاحم والاستمرار.

وإن العلاقة الحميمة بين الأبوين وأولادهما من أقدس العلاقات وأقواها في المحيط الإنساني، ربط الله عليها وأكدها، لتستمر وتزدهر استثمارا للوجود البشرى كله، ودعما له، وتقوية لأواصره وحب الأبوين لولدهما لم يترك مجالا لقول قائل، إنه آية من آيات الله ونعمة كبرى على البشرية كلها . قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١

وقد فسر بعض المفسرين المودة والرحمة، الذى يقوى العلاقة الحميمة بين الأبوين، ويجعلها أكثر أمنا واستقرارا.

والإسلام أول ينظر إلى الأسرة: الخلية الاجتماعية الأولى، والأسرة تتكون من زوجين وأولاد، وفى قلب الأبوين من الحب لأولادهما، ما لا يدرك كنهه، أو يحد مداه، إنه قبس من رحمة الله

يقول الرسول ﷺ لأصحابه ، وقد أشار إلى امراة: (أترون أن هذه الأم تطرح ولدها فى النار؟)

قالوا: لا... قال: (فإن الله أشد رحمة بعباده من هذه الأم بولدها).

وهو حب غريزى فطرى، لا يقدر إنسان على دفعه أو منعه، ولذلك كله وصى الله الإنسان بوالديه، ولم يوص الوالدين بأولادهما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ لقمان: ١٤

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ الأحقاف: ١٥

لقد ركب الله فى الفطرة الإنسانية حب الأولاد ورحمتهم، وغرس الله فى قلب الأبوين هذه العاطفة السامية، ولهذا توجهت كل التعاليم والوصايا إلى الأولاد، ليرشدوا ويحسنوا معاملة الوالدين، فالوصية موجهة إلى الإنسان الأب، لتحرك فيه إنسانيته، وهى وصية بالحسن، تتكئ على نوازع القربى، والإحساس الإنسانى إلى من كانوا سبب وجودنا .

الإسلام والمساواة بين والأبناء ونظرته للإناث

إن الإسلام الذي يعتبر الأطفال قره أعين، لابد أن تؤكد شعائره وآدابه، هذه النزعة الإنسانية، فالمساواة بينهم حتى فى التقبيل أمر يحتمه الإسلام، وتقره أوامره السمحة، نظر رسول الله ﷺ إلى رجل له ابنان، قبّل أحدهما وترك الآخر، فقال له الرسول الإنسان: (فهلا ساويت بينهما؟) .

أما الميل كل الميل إلى طفل بعينه، دون إخوته، أو إلى جنس من الأولاد دون الآخر، فذلك ينافى نظرة الإسلام ومبادئه الصحيحة، ومنطق المساواة التى بنى عليها تعاليمه، فلا تفرقة فى الإسلام بين فتى وفتاه، ولابن ولد أو بنت، بل كلاهما فى كفتى ميزان لا يرجح أحدهما على الآخر، إلا بمقدار الأصالة التى يحرزها، أو القيمة التى يحصل عليها .

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ آل عمران: ١٩٥

إن الميل عن الصراط خروج عن منطق المساواة والحق الإنصاف، ولذلك نرى الإسلام يأمر بالمساواة بين الأولاد كما سبق، حتى لا تتأذى مشاعر بعضهم، وعواطف البعض الآخر، ويضمرون السوء، ويحل البغض مكان الحب، والخصامة محل الوفاق والوئام فيكون التعقيد

والانحراف، والشذوذ والعقد النفسية، والكبت والعزلة القاتلة، التي تقتل الإحساس، وتتذى المشاعر. وكثيرا ما نهى الرسول ﷺ عن تمييز الذكور، وتفضيلهم على الإناث دون موجب، ويرفع بذلك من شعورهن وإحساسهن بقيمتهن فى الحياة .

وعندما بُشِّر الرسول الكريم بفاطمه لمح على وجه الصحابه شيئا من الامتعاض، فقال لهم: _ ما لكم... ريحانة أشمها، ورزقها على الله).

وهو بذلك يحاول بأبوته الحانية تغيير الاعتقاد الجماعى بأفضلية الولد على البنت، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقدم البنت على الولد، فيقول ﷺ: (من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عيالهن كان كحامل صدقه إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور).
والتحفة هى: اللعبه، والصدقة المعروفة، والمحاويج جمع محتاج، ويذهب إلى الرسول المربى الأول صلوات الله وسلامه عليه إلى أكثر من ذلك، ليحبب الإناث إلى قلوب الأباء حبا يعادل فى قيمته مقاومة الغرائز والميول الفطريه بحب الذكور، فيقول الرسول ﷺ: (من عال ثلاث أخوات وجبت له الجنة، قيل: يا رسول الله واشتتين؟ قال: واشتتين، قيل: وواحدة؟ قال: وواحدة).

وقال أيضا: (خيركم من بكر بأنتى)⁽¹⁾..

(1) الفتح الكبرى 212/3 رواه أبو داود عن أبى سعيد.

الحفاظ على حياة الطفل ونموه:

الدين الإسلامى حافل بمجموعه من المبادئ الكليه للحفاظ على

حياة الطفل منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ النساء: ٢٩

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادًا مَوْتًا وَهُمْ لَمْ يُحْرَمُوا مِنْهَا﴾ التحريم: ٦

وورد فى الحديث الشريف: (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) (١).

وقال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠ ويرى

الإسلام أن الإنسان خليفة الله فى أرضه وأن كل ما يضر أو يسئ إلى معنى الخلافة، أو يضعف من قوته محرم شرعا ليظل محتفظا بمكانته وقوته كخليفة لله فى الأرض.

وعناية الإسلام بالحفاظ على حياة الطفل وصحته هى عناية بقوه المسلمين المادية والأدبية. وفى الحديث: (أول ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسديك) (رواه الترمذى).

الوقاية الاخروية: الإنسان يفترض فيه أنه بحكم طبيعته وغريزته سوف يبتعد عن كل مواطن الضرر، ولقد ركب الله فيه فطرته التى تحميه من الخطر الذى يتهدهه وأسبابه، وعلى الرغم من ذلك فالإسلام يقوى هذه الفطرة، وتلك الغريزة فى نفس الإنسان،

(1) رواه أبو داود عن عبدالله بن عمر.

ويذكره بها إمعانا فى الحماية، واستجلابا للوقاية، وحرصا على أن ينأى بنفسه على الهلاك ولهذا نرى الإسلام يحرص على الوقاية حرصا مؤكدا، والوقاية هنا وقايه أخرويه، تتناول عذاب النار وأهوالها يوم القيامة، وقد يكون الأمر بالوقاية من النار، ولكنه يصطبغ معه الأمر بوقايه الأهل أيضا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ التحريم: ٦

ومن الوقاية الأخروية الامتناع عن الحرام اكلا وشربا وملبسا وتنازلا.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا ءِٔىٰ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ المؤمنون: ٥١

الوقاية الدنيوية:

هذه الوقاية تشمل الوقايه من الأمراض والأوبئة الفتاكة، وكل ما للإنسان دخل فيه، كالتهاون وعدم الاحتياط. يقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥

والإسلام يرشد إلى الوقاية والتماس ما يمكن أن يكون دواء لكل داء. فقال الرسول ﷺ: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء) (رواه البخارى).

مسئولية الأبوين الحفاظ على حياة الطفل ونموه

أناط الشرع الحنيف بالأبوين مسئولية الحفاظ على حياة الطفل، ورعايته ونموه. على اعتبار ان الطفل أمانة فى أعناق الأبوين سيحاسبهما الله عليه، وذلك لامتناع تكليف الطفل بحماية ورعاية نفسه لعدم قدرته على ذلك، وقد أناط الإسلام بالوالدين مسئولية الرعايه، وفى الحديث الشريف: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالوالد راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعيه فى مال زوجها وولده ومسئوله عن رعيته، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (1).

والطفل فى سنينه الأولى لا يعى مفهوم الخطر الحقيقى، ومن هنا كان على الوالدين وقاية صغيرهما أو صغارهما من الأمراض والحفاظ عليهم من الأخطار التى تعدد حياتهم، ونموهم . وفى الحديث: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول) (2).

وقول الرسول ﷺ: (... من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرمت عليه الجنة) .

(1) رواه الإمام أحمد ولبخارى مسلم وأبو داود والترمذى عن ابن عمر .
(2) رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم فى المستدرک عن ابن عمرو .

وعلى هذا فإن الأمر بوقاية صغارنا وحمايتهم من الأمراض والحفاظ على حياتهم واجب ديني، وفرض اجتماعي، وإلزام قومي، ثم إن الإسلام يقرر: (أفضل الإنفاق درهم تنفقه على أهلك) .

الوقاية من الرحمة والرحمة من الوقاية:

يعطينا الرسول ﷺ قانونا لرحمة صغارنا، والعطف عليهم حيث يقول: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا) .

ويقول: (ارحموا تراحموا) (1) ..

الإسلام والمباعدة بين الولادات:

ذكر القرآن الكريم ما يجب أن يكون فاضلا زمنيا بين الطفل وأخيه الذي يليه. إلا ما الحكمة في أن يكون فصاله في عامين، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا بل النص على أن الرضاع حولان كاملا لمن أراد أن يتم الرضاعة، أليس كل هذا لتسترد الأم صحتها، وتعوض ما فقدت من عناصر حيويه في الحمل الأول أو ليس هذا أيضا ليصح الجنين، ويأخذ حقه من الرضاعة الطبيعية ؟

(1) الدرر المنتثرة: أحمد عن ابن عمرو:36.

نعم: الطبيعة التى عاد إليها الطب بعد طول سياحات فى الرضاعة الصناعية .

إذن: فإن صحة الأم، وصحة الطفل أساس المباعده بين الولادات.
قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ الأحقاف: ١٥

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ لقمان: ١٤

نظره الإسلام للرضاعة الطبيعية

بخروج الطفل إلى الحياة يظل محتاجا إلى أمه احتياج الفرع إلى الأصل، يحتاج إلى نفس الغذاء، الذى امتصه دما، وهو جنين، فيتحول هذا الدم وبعلم الله، وبقدرته و حكمته، ليصبح لبنا خالصا.. يحتوى على كل العناصر المناسبة لتكوينه، ويجرى اللبن إلى الثدي، فيهدى إليه الطفل بهدايه الله ويمتصه.

وقد ذكر القرآن الكريم القوانين التى تنظم الرضاعة الطبيعية، ونظام رعاية المرضعة غير الأم، أى الأم من الرضاع، وليست من النسب . فقد قال الله: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّىَ الرِّضَاعَةَ ﴾ البقرة: ٢٣٣

ويتبين من هذا النص ما يلي:

أولاً: يجب على الأم إرضاع أبنائها من ثديها، ومن واجبها ألا تتكرر أهميته حق الطفل التمتع برضاعة ثدى أمه إذا استطاعت، وألا يحرم منه.

ثانياً: فتره الرضاعة لمن أراد أن يتم الرضاعة هي عامان كاملان قبل الفطام.

ثالثاً: يسمح بالفطام قبل نهاية المدة التي قررها القرآن وهي عامان كاملان بشرط أن يتم اتفاق بين الأب والأم بعد نقاش حول عدم الإضرار بمصلحة الرضيع، وضمن رعايته لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوِرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ البقرة: ٢٣٣

رابعاً: يجب على الأب مساعدة الأم المرضع، وتوفير كل ما تحتاجه لإرضاع ابنهما مما يوضح لنا أن رضاعة الطفل الطبيعية تعتبر واجبا كاملا لا تستطيع الأم عمل وظيفة إضافية غيره أثناء فترة الرضاعة حيث تعتنى الأم بهذا الرضيع طوال فتره غياب الأب، لذلك حفظت حقوق الأم المرضع في كتاب الله الكريم.

خامساً: في حالة تغيب الأب فعلى أحد أقربائه القيام بمسئوليته تجاه الطفل فترة غيابه. إن هذه الضغوط والتي يضع لها الإسلام حدودا

قويمة حتى إذا توفى الأب فلا بد من أن يقوم مقامه شخص آخر
للاهتمام برعايه ودعم الطفل المرضع.

سادسا: إرضاع الطفل من غير أمه مع قدرتها أمر لا يحبذه
الدين، كذلك فقد وضع الإسلام الحافز المادى للإرضاع، حيث جعل
للأم نفقه إرضاع إذا ما انفصلت عن زوجها، حتى لا يهمل أمر الطفل
ويأخذ كل احتياجاته من الغذاء

وليكن معلوما أن المولى تبارك وتعالى فقد كفل للطفل غذاءه
بما فى ثدى الأم، ففى الأيام الثلاثة الأولى يفرز الثدي سائلا رائقا مائلا
للصفره بكميات صغيره يسمى بالمسمار أو اللباء، وهذا السائل يكفى
لما يلزم الطفل من غذاء قليل فى أول حياته، كما أن له فائده أخرى هى
تعويد الجهاز الهضمى فى الطفل على تقبل الغذاء وهضمه و ابتداء من
اليوم الرابع يفوز الثدي اللبن اللازم لمتابعه غذاء المولود.

إن الأم التى تمتنع عن إرضاع وليدها دون ضرورة قاهرة إنما
تحرم نفسها تماما بقدر ما تحرم طفلها.

فالرضاعة الطبيعىه ينتج عنها عند الأم عمليه تفرغ عاطفى،
وإحساس وجدانى، وهى أداء لواجب شخص نبيل، وانفجار للشعور
بالأمومة، فضلا عن ذلك فإن الرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية
العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمى، وحمله على العمل للحصول

على المواد الغذائية اللازمة للمولود ، وذلك فوق ما تعيده الرضاعة فى الجهاز التناسلى ، إذ تعيده إلى أوضاعه الطبيعى بعد عملية الولادة.

أهمية الرضاعة الطبيعية فى الإسلام

دل القرآن الكريم فى أكثر من موضع على أهمية الرضاعة الطبيعية.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذًا خَفَتْ عَلَيْهِ كَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧

أمر الله بإرضاعه ، ثم بإلقائه فى البحر ، لأن الرضاعة تحدث استجابات معينة عقليه وحسيه معا ، فالعاطفة تكون فى أبهى صورها فى الرضاع ، فالرضاع يشعل طاقات الإحساس فى الأم ، ويحرك فيها كل نوازع الأمومه ، حتى يحولها برمتها إلى خلية حية من الإحساس والعواطف والمشاعر المتوجهه ولهذا لما خافت أم موسى على وحيدها موسى ، أوحى الله إليها (أن أرضعيه) حتى تحدث بين الأم وولدها تلك الاستجابات العقليه والحسيه ، وحتى يتذوق ثمرة ثديها ، فتكون عنده أيضا طبيعة هذا اللبن ، وهو نسيج حياته وتتكون صورة أمه فى مخيلته ، وتتكون صورته فى مخيله أمه فى احتضان رائع سام نبيل.

وكانت رضعة موسى من أمه بكل ما أودعته فى وليدها من الحب والعطف ، والحنان سببا فى تحريم المراضع اللاتى أتى بهن فرعون

إليه، لقد ذاق ثدى أمه، وامتنع عن أن يتذوق ثدى غيرها. ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ القصص: ١٢

ويصور القرآن مرة أخرى أهمية الرضاعة الطبيعية، وما تخلقه من أحاسيس عقلية وعاطفية بين الأم ووليدها، بحيث إنها لا يمكن أن تغيب عن ذهنها إلا عند حدوث شئ رهيب وفظيع، يفقد الأم وعيها، ويجعلها مذهولة، أو ذاهلة. فيقول سبحانه جلت قدرته: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٢) الحج: ٢١،

قمة هذه العلاقات وتلك العاطفة يوم القيامة تتأثر بذهول الأم عن إرضاع ولدها، وهو شئ رهيب وفظيع لو تأملناه.

وقد اهتمت الدولة الاسلامية عبر التاريخ بهذا الموضوع حيث وضع هناك ضمان اجتماعى يقضى بدفع مبلغ معين من المال للطفل بعد فطامه، وقد أدى هذا القانون إلى استغلاله خاصة من قبل من يحتاج إلى ذلك المال من الفقراء فتفطم الأم قبل انتهاء مدة الرضاع، حتى كان عهد الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، والذي لاحظ هذه الظاهرة، والتي تؤذى الأطفال بسبب عدم اكتفائهم من الرضاعة، لذلك غير هذا القانون وأمر بأن يعطى هذا الضمان للجميع من أول يوم يولد فيه الطفل، مما

أدى إلى تشجيع الأمهات، لأن تستمررن فى إرضاع أبنائهن الرضاعة الطبيعية المفيدة لأجساد الأبناء والأجيال المنتظرة.

وقد حرص السلف على تشجيع الرضاعة الطبيعية لمعرفتهم بأهميتها للطفل والأسرة، والإسلام دين التطور والرحمة ينادى كل ذى عقل أن يحدو حدو من سبق، فإن كان الطب فى عصرنا الحاضر قد أكد على ضرورة وأهمية الرضاعة الطبيعية، وحذر من خطورة الإهمال فى ترك الرضاعة الطبيعية، فإن الإسلام يكرمنا أمًا وأبًا وطفلاً ومجتمعاً عندما يأمرنا بالمحافظة على هذه الأمور الحسنة.

وما دمننا قد عرفنا أثر لبن الأم فى صحة الطفل، ونفسية وأخلاقه، وتضاعيف حياته ومستقبله ومزاجه، فلا غرابه أن وجدنا الرسول ﷺ ينهى عن إرضاع الطفل لبن البغى، ويأمر بحفظ الأطفال من كل ما يفسد فطرهم وسلاتقهم يقول الرسول ﷺ: (توقوا أولادكم من لبن البغى والمجنونه، فإن اللبن يعدى).

أفبعد ذلك تكون محافظة ووقاية للطفولة؟ أو يقال رعاية وعناية للأطفال؟

وقد أكد أساتذة طب الأطفال أن الرضاعة الطبيعية دعم للاقتصاد وحماية لجيل المستقبل من الأمراض.

يقول الدكتور فؤاد البحيرى أستاذ طب الأطفال بجامعة الأزهر أن استيراد ألبان الأطفال يرهق ميزانية مصر حيث تستورد الدولة بمبالغ تتراوح بين 60 أو 70 مليون دولار من هذه الألبان سنوياً، إذ يبلغ عدد المواليد الجدد حوالى 200 ألف طفل فى السنه، تبلغ احتياجات الطفل الواحد حوالى 4 علب شهرياً، أى ما يوازى 50 علبه سنوياً يقدر ثمنها بنحو 50 دولاراً.

ثم أكد أن تغلل بعض الأمهات بعدم كفاية اللبن للطفل كلام غير سليم، لأن الله زود كل أم بما يكفى حاجة طفلها، وأن على الأم أن تعرف أنه كلما زادت مرات الرضاعة، كلما زادت كمية اللبن، وأن الطفل يجب أن يرضع من الثديين كل مرة، كما يجب عليها ألا تعطية سوائل أو ألباناً بديلة، بجانب لبنها، لأن الألبان البديلة حلوة المذاق لاحتوائها على مواد سكرية، كمان أن حلمة البزازة أكبر من حلمة الثدي، مما يدفع بالطفل إلى التعود على الألبان الصناعيه، وترك لبن الأم، الذى يحميه من الأجسام المضاده للميكروبات واحتوائه على خلايا تمنع الميكروبات من تجاوز الجهاز الهضمى للطفل، وكذا احتوائه على أنزيمات خاصه، تساعد فى إبطاء نمو الميكروبات⁽¹⁾.

غذاء الحامل والمرضع:

يجب على الأم ان تهتم بالغذاء أثناء الحمل حتى تنهياً أحسن الظروف لكى تنجب مولوداً سليماً صحيحاً.

(1) صحيفه المساء العدد 12223 لسنة 35 ص7.

ولذا أباح الشرع للحامل والمرضع الإفطار فى رمضان لقول الرسول ﷺ: (إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبل والمرضع الصوم) (1).

تربية النشء:

النشء غراس حياة، وقطوف أمل وقره عين الإنسان وزهور الأمة المتألقة المتفتحة والبراعم الإنسانية التى تبنى عليها انبثاقه الفجر الصادق والغد المشرق.

ومن أجل ذلك وجة الإسلام عناية إلى تربيتهم حتى يسعد بهم المجتمع، ويصعدوا هم بالمجتمع. قال عمر بن الخطاب: (من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله).

المعلم القدوة وتأديب الطفل:

قال عتبة بن أبى سفيا يوصى مؤدب ولده: (ليكن إصلاحك ابنى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح ما استقبحت) (2).

(1) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك القشيري.

(2) عيون الأخبار للدينورى 167/2 وتحرير المقال لابن حجر الهيتمى بتحقيقنا.

والأدب مطلوب فى فترة الطفولة لينشأ الطفل على محامد الأفعال ومكارم الأخلاق لقوله ﷺ: (لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم).

وانه بتأديبنا لأولادنا إنما نقدم للكون عنصراً نظيفاً وللمجتمع لبنة صالحة، وهذا ما تهدف إليه التربية الإسلامية، والإسلام بدوره يأجرنا على ذلك.

ومن هنا أوصى مؤتمر الطفولة فى الإسلام الذى عقد أخيراً بجامعة الأزهر بمناشدة الأسر المسلمة بعدم استخدام المربيات الأجنبية، وذلك لخطورتها الشديدة على أطفال المسلمين، وتأثيرهن على سلوك الطفل والتي لا تتفق مع الإسلام، وأن توكل تربية الأطفال لأمهاتهم.

كما أوصى المؤتمر بتتقية المواد الإعلانية والثقافية، ومناهج الدراسة التى تقدم للأطفال من الأفكار والمبادئ التى تتعارض مع القيم والأخلاق الإسلامية.

كما ناشد المشرفين على وسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون والإذاعة بصياغة برامج الأطفال باللغة العربية الفصحى الميسرة وتتقية المواد الإعلامية الثقافية من الأفكار التى تتعارض مع القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية.

ويرى المؤتمر ضرورة حل مشكلات انشغال المرأة العاملة بعملها على حساب تكوين الأطفال فى السنوات الحرجة مع عمرهم، والتوسع فى تشجيع الأم العاملة على التفرغ لرعاية أطفالها، وأن يسمح لها بهذه الرعاية عند شعورها بحاجة الأطفال إلى ذلك، بغض النظر عن مرحلة نموهم، وأن تتاح لها الفرصة للعودة إلى عملها بعد زوال أسباب انقطاعها عن العمل، مع احتفاظها بكافة حقوقها⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن الأبوين هما مرآة أبنائهما، والأسوة الحسنة منهما ضرورية فى حياة الأبناء، وأن الطفل السوى هو ثمرة بيئة صالحة، ثم فضلاً عن ذلك أمرنا بتعليم الأولاد لقول الرسول ﷺ: (علموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم).

وأن نؤدبهم على النظافة الشخصية و نظافة وصحة البيئة وإن طهارة الظاهر تبعث على طهارة الباطن وإن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة، ولذلك كان من السنة غسل اليدين قبل الأكل وبعده، ومن كان له شعر فليكرمه لأن من السنة العناية بالشعر وتمشيته وترجيله ونعلمه التسوك لنظافة أسنانه كما نعلمه نظافة البيوت . وفى الحديث: (نظفوا أفئيتكم). وأمر الرسول ﷺ بتغطية الأوانى⁽²⁾، كما نعلم الطفل ونرشده إلى الاقتصاد فى استخدام المياه تلبية لقول رسول الله ﷺ .

(1) صحيفه النور السنه التاسعه العدد 465 الصفحه الأولى.

(2) الإسلام وصحة الفرد والبيئة: من تأليفنا . طبع اليونيسيف بالقاهره.

(لا تسرف فى استخدام الماء ولو كنت على نهر جار)، لأن قطرة الماء نفحة من حياة، ونهاه عن البول فى الماء الراكد خشية انتشار الأمراض الناتجة عن استعمال المياه الملوثة، ونرشده إلى أن يتجنب التبول على كل شئ صلب كالحجر، والأرض الصماء، حتى لا يتطاير عليه البول فينجسه، ونرشده كذلك إلى اتباع الطرق الصحية فى كل شئ فلا يتبرز فى موارد الماء وعلى قارعة الطريق وفى الظل حيث يكون مجلسا للناس، وتحت الشجرة المثمرة وأن نعلمه أن إماطة الأذى وإزالته عن الطريق إنما هو من قبيل المعروف وأنه سيثاب عليه، لأن رسول الله ﷺ يقول: (الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبه، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله) .

لأن نظافة الطريق برهان حضارة، وأن البصاق فى الطريق والأماكن العامة يناهى الأدب الإسلامى .

وأن نعلمه أن يتجنب مفاسد الأخلاق، وأن نحذره من تناول الحرام فى الملبس والزينة والمظهر، وكذا الحرام فى المعتقدات الجاهلية كتصديق الكهان والاستقسام بالأزلام، والسحر، وتعليق التمامم والتشؤم وكذا الحرام فى التقاليد الجاهلية كالانتصار للعصبية، والتفاخر بالنسب، والنياحة على الموتى .

وأن نجعل للطفل منهجا تربويا فى اليوم واللييلة يسير عليه، فنعلمه دعاء الاستيقاظ وآداب الخلاء، وفضل الوضوء، وصلاه التهجد،

وصلاه الفجر فى المسجد وأذكار الصباح، وتلاوه ما تيسر من كتاب الله، ثم يأخذ فى بعض التدريبات الرياضية، والمطالعة الثقافية، وصلاه الضحى وطعام الفطور، وآداب الخروج من المنزل، والتزام آداب الطريق، وأداء حق الرفيق والصاحب وأداء حق المعلم. وتلقينه فى المساء مآثره إسلامية، والحرص على النوم مبكرا⁽¹⁾.

عناية الإسلام بصحة الأبدان

أبدى الإسلام اهتماما كبيرا بجسم الإنسان، فنراه يقيم للصحة اعتبارها، ويجعلها فى عداد النعم العظمى، قال ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ) وما منح الإنسان بعد الإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ شيئا أعظم من نعمه العافية فى البدن، والصحة فى الجسم، والسلامة فى الأعضاء، وعن أبى بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتى أحد بعد اليقين خيرا من العافية)⁽²⁾.

وقوله أيضا: (من أصبح منكم آمنا فى سرية، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)⁽³⁾. وقال أيضا: (طهروا هذه الأجسام طهركم الله) رواه ابن ماجه .

(1) انظر: تعليم المتعلم طريق التعليم للإمام الزرنوجى، أيها الود للإمام الغزالى مقدمه ابن خلدون- تربيته الأولاد فى الإسلام للأستاذ عبدالله علوان والتغذية وأثرها فى بناء الجسم والعقل والناشئه- طبع اليونيسيف

(2) رواه الإمام أحمد فى المسند.

(3) رواه الترمذى عن عبدالله بن محسن.

فضل الطهارة:

كرم الإسلام البدن، وجعل طهارته الكاملة أساسا لا بد منه لكل صلاة، وجعل الصلاة واجبة خمس مرات فى اليوم واللييلة، كمان ألزم المسلم أن يغسل جسمه كله غسلا جيدا فى أحيان كثيرة، وليس هذا أمرا عجبا فى دين جعل الطهارة مفتاحا لأولى عباداته، وهى الصلاة، فلا تقبل صلاة حتى يكون المسلم نظيف البدن والثوب والمكان .

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٨)

وقال الرسول ﷺ: (الطهور شرط الإيمان) (رواه مسلم) . وقال أيضا: (النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه فى الجنة) (رواه الطبرانى) . وقال الحبيب لأنس: (يا بنى إن استطعت ألا تزال على الطهارة فافعل، فإنه من أتاه الملك وهو على الوضوء أعطى الشهادة) (رواه الترمذى) .

لم شرعت الطهارة؟

شرعت الطهارة حثاً للمؤمن على النظافة، حتى يكون حسن البدن والملبس والثياب، كما هو ظاهر القلب، ونظيف اللسان بالإيمان والأخلاق فىكون ظاهره وباطنه سواء، على أتم صورة، وأكمل سريرة، أمام خالقه الذى ينجيه فى عبادته، طالبا ثوابه ورضوانه .

وحرى بنا أن نأخذ بيد أطفالنا نحو هذا الهدى السوى، حتى يشبوا على هذه التعاليم النورانية، ويسعدوا في دنياهم وأخراهم .

ولما كانت الشريعة تعنى بالنظافة، وتهتم بها، حيث قد وضع ذلك فى إيجاب الغسل من النجاسة، والاستتجاء، والوضوء والغسل، لم تقف عند هذا الحد بل طلبت من المكلف على سبيل السنية والاستحباب أغسالا متعددة، تحقيقا لهذا المبدأ، وتأكيدا له ومن هذه الأغسال السنوية: غسل يوم الجمعة لمن يريد حضورها لحديث: (من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل) .

وغسل العيدين وغسل الاستسقاء وغسل الكسوفين، والغسل من مباشرة غسل الميت، وغسل من أسلم إن لم يكن قد أجنب فى كفره، أو لم تحصن الكافرة، وإلا وجب الغسل فى الإسلام، وغسل من أفاق من الجنون، أو الإغماء، إن لم يتحقق منهما ما يوجب الغسل وإلا وجب، والغسل لدخول مكة وللوقوف بعرفة وللمبيت بمزدلفة، ويسن الغسل للاجتماعات الخيرية، ولتغيير رائحة البدن.

وفى الحديث: (حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما، يغسل فيه رأسه وجسده) (رواه الشيخان)

آداب قضاء الحاجة:

قال المغيرة بن شعبه: (كان النبى ﷺ إذا ذهب المذهب أبعد) أخرجه الترمذى وغيره، وأن فى فعل الرسول هذا يدل على مشروعية

الأبعاد لمن يريد قضاء الحاجة لإخفاء ما يستقبح سماعه أو رائحته، كما أن هناك آداباً أخرى وهى أن يوسع المرء بين رجليه ويميل على اليسرى وألا ينظر إلى عورته، ولا إلى ما يخرج منه، وألا ييزق على بوله، ولا يطيل القعود فإنه يولد البواسير، إذ هو عليه تحدث حول المقعدة أو عرق فى باطنه فساد، وألا يكثر الالتفات أثناء التبول، وألا يعبث ببدنه، وألا يرفع بصره إلى السماء، إذا فرغ من قضاء حاجته فليعصر ذكره من أسفله إلى الحشفه ثم يصب الماء باليد اليمنى على فرجه وليغسله باليسرى بادئاً بالقبل، وليستر عورته قبل أن يستوى قائماً وليخرج برحله اليمنى ثم يقول: غفرانك، غفرانك، الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى، الحمد لله الذى أذاقنى لذته، وأبقى فى قوته وأذهب عنى آذاه . ثم يغسل يديه بعد ذلك اتقاء لما قد يعلق بها من أدران وهذا من محاسن الترييه فى الإسلام (1).

حكمه مشروعية الغسل:

من المعلوم أن الغسل هو سيلان الماء على جميع البدن بنية مخصوصة لقوله تعالى: ﴿وَأَن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا﴾ المائدة: ٦

ولذا كانت الحكمه من مشروعيته - والله أعلم - أن الشخص بعد العمليه الجنسية، والمرأة الحائض أو النفساء، يحصل لهما هبوط فى الجسم، وفتور فى الأعضاء، فإذا اغتسل كل منهما عاد إليه

(1) الفقه على المذاهب الأربعة / كتاب الطهاره.

نشاطه ، واسترد ما فقدته مما فعله ، أو أصابه ، كما أنه كثيرا ما يغفل الإنسان عن ذكر الله حين مزاوله هذه العملية ، والمرأة فى حيضها ، أو نفاسها ، لا تصح لها صلاة ، ولا صيام حتى تطهر . من أجل هذا أوجب الله الغسل على كل بعد انتهاء سببه ، تكفيرا عما يكون قد لحقه من ظلمة بسبب غفلته ، وعدم مزاولته عبادته (1) .

نظافة الفم والأسنان

إن من محاسن الإسلام الحنيف سنية المضمضة عند الوضوء ، أو طول السكوت ، أو أكل كل ماله ريح كريهة كالثوم والبصل وما شابه ذلك من الأطعمة التى تعلق فى الأسنان . قال رسول الله ﷺ : (تنظفوا فإن الإسلام نظيف) (2) .

ومن هنا أولى النبى ﷺ الفم والأسنان عناية خاصة ، وحث على تنظيفهما مع كل وضوء ، ومع كل صلاة وبعد كل أكل ، لأن الفم عندما تهمل نظافته يكون مصدرا لأمراض كثيرة ، فهو يحوى كل العوامل المساعدة والملاتمة لنمو الأمراض المرضية وتكاثرها ، من رطوبة دائمة ، وحرارة مناسبة وبقايا طعام وشراب لتزويد هذه العوامل باحتياجها من غذاء ، فيصبح عند ذلك الفم عشا مريحا للعوامل

(1) الفقه على المذاهب الأربعة / كتاب الغسل .

(2) رواه ابن حبان .

المرضية ، فيصاب بالقروح المؤلمة والآفات المزمنة ، ويكون سبب ألم وإزعاج لصاحبه بجانب الروائح الكريهة ثم تفسد الأسنان .

من أجل ذلك حثنا سيد الخلق ﷺ على استعمال السواك ، وتنظيف الأسنان والفم ، ومن الأحاديث المطهرة على هذا : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) ⁽¹⁾ وقوله : (تسوكوا فإن السواك مطهره للفم ، مرضاه للرب ، وما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتي) ⁽²⁾ . وقوله : (حبذا المتخللون فى الوضوء ، والمتخللون فى الطعام ، أما تخلل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع ، وأما تخليل الطعام فلأنه ليس شئ أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى) ⁽³⁾ .

كما سن لنا رسول الله ﷺ أن نستاك عرضيا ، أى من الأعلى إلى الأسفل وبالعكس فقال : (إذا شربتم فاشربوا مصا ، وإذا استكتم فاستاكوا عرضا) ⁽⁴⁾ . وكان ﷺ : (إذا قام ليتهجد يشوص فاه بالسواك).

(1) رواه البخارى عن أبى هريره .

(2) رواه ابن ماجه

(3) رواه أحمد والطبرانى .

(4) رواه أبو داود عن أبى رباح وهو حديث حسن . وانظر : المواهب اللدنية للقسلانى (116/3).

وكلمة:يشوص، أى: يستاك عرضاً، وهذا من محاسن الدين الإسلامى، الذى كان له فضل السبق بالاعتناء بنظافة الأسنان وتقوية اللثة، محافظة على الصحة العامة للجسم ومن فوائد السواك: أنه يطهر الفم، ويرضى الرب، ويبيض الأسنان، ويطيب رائحة الفم، ويشد اللثة، ويصفي الخلقة عن نحو البلغم، ويذكي الفطنة، ويقطع الرطوبة، ويجلو البصر، ويبطئ الشيب، ويسوى الظهر، ويضاعف الأجر، ويسهل النزع، ويذكر الشهاده عند الموت، ويسكن الصداع، ويذهب وجع الضرس، ويقوى المعدة، وينمى المال والولد .

ومن هنا تأتى حكمه طلب تكرار استعماله فى الوضوء لكل صلاة أو عند تغير رائحة الفم وعند الذكر وعند الاستيقاظ من النوم، وأننا إذا ما اعتنينا بتطهير أسناننا فإننا نستطيع أن نتحكم فى وضع إصابتها بأمراض النخر أو القلح أو التسوس، كما يجب علينا أن نحاذر من إتلاف أسناننا، ونتجنب استعمالها فى رفع الأشياء الثقيلة، وقرض الأظافر أو المأكولات اليابسة، ولا ننظفها بالدبابيس، وأسنان الأقلام .

ثم إنه من المعلوم أن السواك عباره عن عود من جذر شجر الأراك، وأحياناً من أغصانه، ويعتبر الأراك أجود أنواع السواك، إذ يحتوى السواك على مواد قاتلة لجراثيم الفم . وفيه ماده مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين، كما يحتوى على ماده السنجرين ذات التأثير المطهر الشديد الفعالية والتى تقضى على الجراثيم، وفيه ماده السيليس التى

تجرف الفضلات وتزيل القلح⁽¹⁾، وتساعد على تلميع الأسنان وتبييضها بتأثيرها الإلى، كما أنه غنى بحمض العفص الذى يمنع النزف، ويشفى جروح اللثة، ويظهر الفم كما أنه يحوى نسبة عالية من مادة الكلوريد الذى يساعد على حل ملح الطرطير والتصيفات الأخرى على الأسنان وإزالتها علما بأن ترسبات الطرطير هي الأساس فى تولد القلح، كما يتضمن راتينجات⁽²⁾ متعددة تشكل غلافا أو طلاء فوق طبقة الميناء، لتحميها من التشقق والتصدع، حيث يكون التشقق ثغرى يبدأ منها التسوس، وفيه مواد العطرية الخاصة التى تطيب الفم، وتجعل له رائحة زكية، كما أنه يحتوى على 22 مادة فعالة منها: أملاح الحديد والكلس، وسهل استعماله فى يسر وسهولة، ويفنى عن معجون الأسنان، ويقوم بوظيفته على أحسن وجه .

وقد أكتشف البروفيسور: رودات مدير معهد علم الجراثيم والأوبئة فى جامعة روستوك الألمانية سراً علمياً أثبت فيه: (أن السواك الذى يستعمله العرب منذ مئات السنين كفرشاة الأسنان من أرقى وسائل تنظيف الأسنان، لاحتوائه على مادة فعالة قاتلة للميكروبات تفوق فى مفعولها البنسلين) .

(1) القلح: هو المادة الداكنة التى تترسب وتصبغ الأسنان.

(2) الراتينج: مادة عطرية تشبه الصمغ.

ويكفى السواك تشريفا وتكريما أنه دخل فم سيد المرسلين،
وفم آل بيته الطاهرين وصحابته الكرام والتابعين (1).

نظافة اليد:

لما كانت اليد أكثر أعضاء الجسم تعرضا للمس الأشياء،
تعهدنا الإسلام بالغسل قبل الطعام وبعده، وسن غسلها في الوضوء،
حتى إن النبي ﷺ جعل اليمنى للطهور والطعام والشراب، وجعل اليسرى
للاستجاء وكل شئ مستقذر وما كان به أذى .

وفى وجوب تعهدنا بالنظافة وتطهيرها من القذر يقول ﷺ: (إذا
نام أحدكم وفى يده ريح غمر- ريح لحم- فلم يغسل يده فأصابه شئ
فلا يلومن إلا نفسه) (2) . وقوله: (إذا استيقظ أحدكم من منامه، فلا
يدخل يده فى الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده، ويسمى
قبل أن يدخلها) (3).

وحث الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه على تقليد
الأظفار وجعل هذا من سنن الفطرة، لما تحوى من أذى يضر بصحة
الإنسان، وفى الحديث الشريف: (قصوا أظافيركم، وادفنوا

(1) الصلاة صحة ووقاية للدكتور فارس علوان 53-55 ط دار السلام بمصر .

(2) ابن ماجه عن أبى هريرة.

(3) رواه الطبرانى فى الأوسط ومالك والشافعى وأحمد.

قلاماتكم، ونقوا براجمكم، ونظفوا لثاثكم من الطعام، واستاكوا
ولا تدخلوا على مَحْرًا بَحْرًا⁽¹⁾ .

وقال ﷺ: (عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية،
والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف
الأبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء والختان)⁽²⁾ .

وأيضاً: (لا تترك من أظافيرك فإنه أزين لكن) . وأن قص
الأظافر لا يتجاوز تركه أربعين يوماً، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (وقت
لنا النبي ﷺ فى قص الشارب، وتقليم الأظافر ألا تترك أكثر من أربعين
يوماً وليلة)⁽³⁾ .

وليت أطفالنا يتجنبون عادة تقليم أظافرهم بأسنانهم، لأنها بلا
شك عادة قبيحة يرفضها الذوق السليم ويتبعون التعاليم النبوية،
وينتفعون بها، ويتعلمون تناول أطعمتهم بيدهم اليمنى، بدل تقليد الغرب
فى تناولها بيدهم اليسرى، ولا يدرون أنهم بفعلتهم هذه إنما يعلنون
رفضهم لتعاليم دينهم الحنيف⁽⁴⁾ .

(1) الفتح الكبير (300/2) الحكيم عن عبد الله بن بسر .

(2) رواه مسلم، البراجم: عقد الأصابع، وحلق العانة يطلق عليه أيضاً: الاستحداد وهو
حلق ما حول الفرج. وانتقاص الماء: الاستنجاء .

(3) صحيح مسلم فى الطهارة (258) باب (61) خصال الفطرة وأبو داود (4200) فى
الترجل .

(4) شرح النووى على صحيح مسلم (542/1) .

العناية بنظافة الرأس:

من الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود استجاب التأذين بصوت منخفض في أذنه اليمنى وقيم الصلاة في اليسرى حتى يكون أول دخوله إلى الدنيا سماع كلمة التوحيد. وفي الحديث الشريف: (افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله ولقنوههم عند الموت لا إله إلا الله) (1).

ثم استحباب حلق رأسه يوم سابع ولادته، لأن في إزاله شعر رأس المولود تقويه له، وفتحاً لمسام الرأس، وتقويه لحاسة البصر والشم والسمع وأن يعلم الأبوان طفلهما نسب النبي ﷺ ولذا ينبغي على ولي الأمر وأن يرشد أطفاله إلى أن يتعهدوا تنظيف رؤوسهم، وولاية شعورهم، بقصه وتنسيقه وتمشيطة وترجيله، ولا سيما إذا كانوا زائرين أو مزورين، وأن يلقي على مسامع أطفاله أن النظافة من مبادئ ديننا الحنيف، وأن عقيدتنا الإسلامية تحتنا على هذه الرعاية.

دخل رجل على النبي ﷺ ثائر الرأس، أشعث اللحية، فقال: (أما كان لهذا دهن، يسكن به شعره؟) ثم سكت هنية وقال: (يدخل أحدكم كأنه شيطان) وقوله: (من كان له شعر فليكرمه) (2).
(وكان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح شعره) (3).

(1) رواه الحاكم.

(2) الفتح الكبير للسيوطي (320/3) أبو داود.

(3) سنن أبي داود (373:395/2) وأخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ 172.

وكان لسول الله ﷺ سُكَّةٌ يتطيب منها⁽¹⁾.

وفى هذا تربية للذوق السليم، وإبراز لزيينة الله فى أجمل منظر،
وأبدع تنسيق .

وهكذا يأخذ الرسول المربى بيدنا إلى أرقى ما يمكن أن تصل
إليه الإنسانية من طهر وذوق وجمال، فى وداعة ونظام ووقار، حتى لا
يدرى الواقف على باب الإسلام أهو واقف فى ظل معبد للتكبير
والتهليل، أم معبد للتزيين والتجميل؟

نظافة العين:

العين أدق عضو من أعضاء الجسم، ولذا يجب تعهدها بالنظافة،
ورعايتها وقد اهتم رسول الإنسانية محمد ﷺ بنظافتها ورعايتها. عن
عائشه - رضى الله تعالى عنها - قالت: كان لرسول الله ﷺ إثم
يكتحل به عند منامه فى كل عين ثلاثا.

والإثم: حجر يدق ناعما، ويكتحل به يقوى البصر ويجليه. وعن
ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من

(1) أخرجه أبو داود فى الترجل (4162) باب استحباب الطيب. والسكة: طيب أسود
يخلط ويعرك ويترك وتظهر رائحته كلما مضى عليه الزمن، ويحتمل أن تكون وعاء
يوضح فيه الطيب وهو الظاهر والله أعلم.

خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم وإن خيراً كحالكُم الإثمُد يجلو
البصر، وينبت الشعر) (1).

نظافة الأنف:

إن من محاسن الإسلام اهتمامه بنظافة الأنف، حيث جعل تنظيفه من
سنن الوضوء، وعلى المرء إذا استعد للوضوء فعليه أن يأخذ ماء
وليستشقه ثم لينثره، لأن ذلك أبلغ في نظافة الأنف ثم يكرر ذلك مرتين
أو ثلاثاً⁽²⁾. وفي الحديث الشريف: (إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه
ماء ثم لينثر).

ثم يدخل طرف أصبعه البنصر فيه حتى يتقين نظافته من
المستقذر. ولأمر ما، كان ﷺ إذا عطس خفض صوته، وتلقاها بثوبه أو
يده، وخمر وجهه -أى: غطاه- حتى لا يخرج منه ما يؤذى.

ويرجع سبب العطاس إلى مرض يكون مقروناً به، ومن هنا سن
الإسلام لمن يعطس أن يحمد الله على شفائه من هذا المرض، كما يسن
لمن سمعه، أن يشمته فيقول له: يرحمك الله، فيجيبه: يهديكم الله
ويصلح بالكم. أو أصلح الله شأننا.

(1) سنن أبي داود 336/2. أخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ 169

(2) انظر: البخارى فى الوضوء وصحيح مسلم فى الطهارة (وضوء النبي ﷺ) وزاد المعاد
130 /1.

وفى الحديث: (إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستتر ثلاث مرات فإن الشيطان يبیت على خياشيمه) ⁽¹⁾. وأن اجتماع المخاط والمواد الغليظة فى الخيشوم سبب لتبلد الذهن وفساد الفكر فيكون أمكن لتأثير الشيطان بالوسوسة، وصدده عن تدبر الأفكار.

وأن فى عناية الإسلام بنظافة الأنف لدلالة على سلامة الذوق، ولذا ينبغى أن نحمل أطفالنا على التمسك بها، والتأدب بها ⁽²⁾.

نظافة الفم:

من محاسن الإسلام سنية المضمضة عند الوضوء لنظافة الفم من الروائح الكريهة، أو الأطعمة العالقة فى أسنانه، وأفضل وسيله لنظافة الأسنان السواك ونحوه لقوله ﷺ: (إذا شربتم اللبن فتمضمضوا منه، فإن له دسماً) ⁽³⁾. وقوله: (نعم السواك الزيتون، من شجره مباركة، تطيب الفم، وتذهب بالحفر). (هو سواكى وسواك الأنبياء قبلى).

اقتناء الكلاب:

نهى النبى ﷺ عن اقتناء الكلاب فى المنازل لغير حاجة؛ لأن وجودها مظنة للنجاسة، لقوله ﷺ: (إذا بلغ الكلب فى إناء أحدكم

(1) الفتح الكبير 998،79/1 للبخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة.

(2) شرح النووى على صحيح مسلم (524/6) وسنن أبى داود (31/1).

(3) ابن ماجه عن أم سلمة.

فليغسله سبع مرات ، إحداهن بالتراب) وقوله: (إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أو لاهن بالتراب) (1).

وإذا كان الإسلام قد نهانا عن اقتناء الكلاب فليس معنى هذا أن نقسو عليها أو نؤذيها لأن رسول الله ﷺ قال: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها) (رواه أبو داود والترمذى).

وبعد فما أسمى تعاليم ديننا الحنيف فى الحفاظ على صحة الإنسان التى هى مقصد من مقاصد الشريعة الغراء التى يجب الحفاظ عليها.

الإسلام والحجر الصحى:

يحذر الإسلام من الأمراض المعدية، وعلينا أن نعمل تجنبها، ولذا اكتفى الرسول ﷺ بأن يبايع المجذوم دون أن يسلم عليه، أو يجعله يخالط الناس.

عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى ﷺ: (إنا قد بايعناك فارجع) (2).

وفى البخارى: (فر من المجذوم كما تفر من الأسد) (3).

(1) لأحمد والنسائى (الفتح الكبير 1/162).

(2) صحيح مسلم.

(3) رواه الشيخان عن أبى هريرة ؓ.

ثم حذرنا من الطاعون والوقايه بالأبتعاد عنه لقول الرسول ﷺ:
(الطاعون آيه الرجز ابتلى الله عز وجل به ناساً من عباده فإذا سمعتم به
فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تقربوا منها) (1).

وهكذا نرى أن الوقاية مطلب إسلامي ينبغى المحافظة عليه،
ويجب ألا نتهاون بها، وأن الإسلام يحرص على بقاء الطفولة مكفولة
الرعاية موفورة الحماية (2)

الاقتصاد فى استخدام المياة:

ليتنا نوجه أطفالنا إلى الآداب الاسلاميه فى كيفية تعاملهم مع
المياة فلا نسرف فيها ولا نستخدمها استخداماً سيئاً، فعن ابن عباس -
رضى الله عنهما- أن النبي ﷺ مرّ بسعد وهو يتوضأ، فقال له: (ما هذا
السرف يا سعد) فقال: وهل فى الماء من سرف؟ قال: (نعم وإن كنت على
نها جار) وتزداد أهميه المياة وعدم الإسراف فى استخدامها خاصة، وأن
الله سبحانه وتعالى يجعلها مصدر كل شئ حى، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ
الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء: ٣٠

نظام المء والطعام:

عن أبى قتادة: أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء. والنهى عن
التنفس فى الإناء أثناء الشرب هو مخافه من تقذيره وسقوط شئ فيه،
ولأن النفخ فى الإناء والطعام يؤدى إلى أمراض جسيمه.

(1) الفتح الكبير 2/ 218.

(2) الصلاة صحة ووقاية 292

النهي عن البول في الماء الراكد:

جعل الإسلام من حق المرء على أخيه الإنسان أن يتجنب إيذائه بعدم قضاء حاجته في الماء الذي يرده، فعن جابر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد. وفي آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه). وقوله: (لا تبل في الماء الدائم الذي لا يجري ثم تغتسل منه).

ولم يقتصر الإسلام في توجيهاته الرشيدة على هذه، بل نهانا عن التبول في المستحم، لحديث: (لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه).

لذا ينبغي أن نرشد أطفالنا وأبناء مجتمعنا كافة إلى تجنب تلويث المياه، حفاظاً على صحتنا، وأن ندرك أن ندرك في التبول في هذا الماء أننا ننجسه ونقدره ونتلف صلاحيته، وأنه بهذا يحمل إلينا الأمراض والجراثيم.

نظافة الثوب:

قال الله عز وجل ﴿وَيَاكَ نَطَهَّرُ ۝٤﴾ المدثر: ٤ وقد أمر رسوله الكريم في أوائل البعثة أن يطهر ثوبه وقلبه وسريرته، وأراد الله من رسوله ﷺ أن يكون نقي القلب والثوب، طاهر الذات واللباس مميّزاً عن غيره، وكان النبي ﷺ خير قدوة لنا، وأحسن أسوه، وكان أنموذجاً

ومثلاً عظيماً يقتفى المسلمون أثره، ويمشون على خطاه، وينهلون من بحر حكمته وعطائه، وقال: (إن من كرامة المؤمن على الله نقاء ثوبه ورضاه باليسير)⁽¹⁾ وقال كذلك: (السمت والحسن، والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة)⁽²⁾.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: (أحسنوا لباسكم، وأصلحوا رجالكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس)⁽³⁾.

وروى جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً وسخة ثيابه، فقال: (أما وجد هذا شيئاً ينقى به ثيابه). ورأى رجلاً أشعث الرأس، فقال: (أما وجد هذا شيئاً يسكن به شعره؟)⁽⁴⁾.

وقال: (ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك)⁽⁵⁾.

وقال الله عز وجل: ﴿يَبْنَىءْ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾
الأعراف: ٣١

وهكذا نجد أن الإسلام قد حثنا على النظافة والتجمل في مواضع الاجتماع مثل الجمعة والعيدين فقال ﷺ: (ما على أحدكم أن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته)⁽¹⁾.

(1) رواه الطبراني

(2) رواه الترمذى والسمت: الطريق أو المسلك، والمقصود هنا: المظهر والهيئة.

(3) رواه الحاكم.

(4) رواه مسلم.

(5) أخرجه أحمد والبيهقى عن الأشعث بن سليم.

نظافة البيوت:

حث الرسول ﷺ على نظافة البيوت، لتكون مظهرًا من مظاهر الإسلام، دين النظافة، وعنواناً يتميز به المسلم على غيره، قال ﷺ: (إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئيتكم) (2).

النهي عن البول على الحجر والأرض الصماء:

جعل الإسلام من حق بدن الإنسان على صاحبه ألا يعرضه للتلوث أو الإيذاء، فعن عبدالله بن سرجس أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال على الحجر حتى لا يتطاير البول عليه، كذلك نهى عن البول فى الأرض الصماء.

نظافة الطريق:

يحتاط الإسلام للمسلمين فى جميع تصرفاتهم بما يضمن سلامة أبدانهم وأرواحهم، وجعل الإسلام من حقوق الناس على المسلم أن يتجنب إيذاءهم فى طرقهم.

فعن أبى سعيد الخدرى ؓ عن النبى ﷺ قال: (إياكم والجلوس على الطرقات)، فقال رسول الله: ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها،

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه الترمذى. والأفئيه جمع فناء وهو بهو البيت وساحته.

قال رسول الله ﷺ: (إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه)، قالوا: وما حقه؟ قال: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) (1).

وإذا تدبرنا هذا القبس النبوى الشريف لتبين لنا أن الرسول الكريم ﷺ يرشدنا إلى حكم من الأحكام العامة التى يحتاج إليها الناس فى كل زمان ومكان، وهو حكم الجلوس فى طريق الناس، وحق هذا الجلوس، فإن الطريق ملك للجميع، ومنفعه عامه تعود على الجميع.

كما حثنا كذلك عن كف الأذى عن المارة سواء أكان ذلك الأذى باليد أو اللسان أو العين أو آية وسيلة أخرى لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وإذا جلس المرء فى الطريق لا يجلس ليكذب أو ينم أو يغتاب أو يتأمر أو يسخر أو يتندر بالمارة، وأن كف الأذى بهذا المعنى أمر سلبى، هناك أمر إيجابى وهو إزالة الأذى الموجود بالطريق، يوضح ذلك الحديث الذى يرويه البخارى عن أبى هريره ؓ قال: (بينما رجل يمشى فى الطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له). وحديث: (الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة أدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله) (2). وقوله: (أمط

(1) الفتح الكبير (489/1) للبخارى ومسلم وأحمد ومسلم.

(2) رواه البخارى ومسلم النسائى.

الأذى عن الطريق فإنه لك صدقة) ⁽¹⁾ وقوله: (من أذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم) ⁽²⁾ وحديث: (عرضت على أعمال أمتى: حسنها وسيئها، فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت فى مساوئ أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن ⁽³⁾ وعن المستشير بن أخضر بن معاوية عن أبيه قال: (كنت مع معقل بن يسار رضى الله عنه فى بعض الطرقات، فمررنا بأذى فأماطه أو نجاه عن الطريق، فرأيت مثله، فأخذته فنحيته، فأخذ بيدي، وقال: يا ابن أخى، ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم رأيتك صنعت شيئاً، فصنعت مثله، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من أماط أذى من طريق المسلمين كتبت له حسنة، ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة) ⁽⁴⁾

وعن أبى سبيبة الهروى قال: كان معاذ يمشى ورجل معه، فرجع فرفع حجراً من الطريق، فقال: ما هذا؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رفع حجراً من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة) ⁽⁵⁾. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

(1) رواه البخارى.

(2) رواه الطبرانى عن حذيفه بن أسيد.

(3) رواه مسلم وابن ماجه.

(4) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(5) رواه الطبرانى فى الكبير.

(شجرة تؤذى الناس فأتاها رجل فعزلها عن طريق الناس)، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: (فلقد رأيتُه يتقلب في ظلها في الجنة) (1).

وفي الحديث: (إياكم والتعريس على جواد الطريق، والصلاة عليها، فإنها مأوى الحيات والسباع، وقضاء الحاجة عليها، فإنها الملاعن) (2).

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الملاعن) (3) الثلاث: البراز في الموارد (4) ، وقارعة الطريق والظل) (5).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الطريق، وماله من أهمية، وما أحرانا أن نهتدى بها في سلوكنا الاجتماعي، وبذا نتجنب كثيراً من مشكلات الطريق، وليتنا نوجه أطفالنا إلى هذه القبسات النورانية، والإرشادات العظيمة حتى يشبوا على احترام الطريق وأداء حقه، ونبرهن بهذا على أننا أمة

(1) رواه أحمد وأبو يعلى.

(2) الفتح الكبير (489/1) ابن ماجه عن جابر.

(3) موطن اللعن.

(4) الموارد جمع مورد وهى المجارى والطرق إلى الماء.

(5) رواه أبو داود وابن ماجه.

إسلامية متحضرة، وليعلم غيرنا أن الإسلام هو واضح أسس وضوابط وآداب الشارع، وأنه حماه من التسبب والفوضى⁽¹⁾.

التغذية وأثرها على التنشئة

إن السعادة كل السعادة فى هذه الحياة أن يعيش المرء صحيح الجسم، معافى فى بدنه، وهذا غاية المنى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (من أصبح آمناً فى سربه⁽²⁾، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها)⁽³⁾.

ولا غروا فإن نعمة وجود القوت و الاطمئنان فى الحياة، هما سر السعادة التى أنعم الله بها على أهل مكة، وصدق الله إذ يقول: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾⁽⁴⁾ قریش: ٤

ولا شك أن سعادة الدنيا فى وجود الطعام، واتباع قواعد التغذية السليمة للحفاظ على صحة الأبدان.

ومن هنا كان الإسلام حريصاً على المصالح الخمس المعتبرة فى الإسلام، ووجودها سليمة غير معيبة، وهذه الأغراض الخمسة هى:

- (1) المنهج الإسلامى فى رعايه الطفولة (33-35) من تأليفنا. و د/ سعد ظلام. وفى الصلاة صحة ووقايه للدكتور فارس علوان (100/1).
- (2) آمن النفس والقلب أو آمن على ماله من أهل ومال. انظر المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية 426/1.
- (3) إتحاف السادة المتقين للزبيدى (15/8) والترغيب والترهيب (590/1) وابن حيان(2503) ومجمع الزوائد للهيئى(289/10).

- 1- المحافظة على النفس.
- 2- المحافظة على الدين.
- 3- المحافظة على العقل.
- 4- المحافظة على المال.
- 5- المحافظة على العرض.

وإن الحفاظ على النفس وعلى العقل يكون بالتغذية الصحيحة السليمة منذ أيام الحمل والولادة ثم فى أطوار الحياة المقبلة للناشئة، وقد حفلت الشريعة الاسلامية بإيضاح أنواع كثيرة من الأغذية المتكاملة التى يحتاجها الجسم، حتى ينمو فى صحة جيدة، وينمو صحيحاً سليماً معافى، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) (1).

ومن أنواع الأطعمة التى ورد ذكرها فى الكريم، أو فى السنة النبوية الشريفة كلبن الأم، وماله من قيمة غذائية للطفل، وما يصحب ذلك من حنان وعطف، موثق بينهما. وأيضاً: العسل وقيمة الغذائية سواء للأم أو الطفل، ثم التمر وفضله، والعنب والبطيخ، وألبان الأبل، والجبن إلى غير ذلك من الأطعمة.

وإن جمال الجسم يتوقف على الصحة الجيدة، وإن الصحة الجيدة تتوقف على الدم النقى، والدم النقى يتوقف على الصحة الجيدة،

(1) مسلم / القدر (34) وابن ماجه (4168/679) والمسند (370/2) والسنن الكبرى للبيهقى (89/10).

والدم النقى يتوقف على جوده الغذاء الذى يتناوله، والأطعمة إلى تغذى الجسم تعوض ما فنى منه بحركته، وتزيل ألم الجوع وتجعله يقوى على العمل والشغل، وحيث كان هذا هو الغرض من التغذية فإنه لا يليق بأى عاقل أن يطلب كل ما يراه من المآكل، أو يفرط فى الأكل تلذذاً به، وأستحساناً له، بل يقتصر على ما يشبع معدته، ويزيل جوعته، وإلا كان نهما لا يشبع، وشرها يتسلط عليه داء التخمة، وعدم الهضم، والتهاب المعدة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً، فثلاث لطعامه، وثلاث لشرابه، وثلاث لنفسه) (1).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (نحن قوم لاناكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لانشبع) وقال بعض السلف: (جمع الله الطب كله فى نصف آيه:

﴿كُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الأعراف: ٣١

وإذا كان هذا الدستور الصحيح لكل إنسان فإنه للحامل ألزم، لأن للغذاء الجيد علاقة مباشرة بصحة الأم، كما أن له أثراً كبيراً فى نمو الجنين، وما أسعد الطفل الذى يتغذى بما أعدته له الطبيعة من غذاء كامل ألا وهو لبن الأم، لأن الطفل الذى يتغذى بلبن أمه يتمتع بحياة طويلة، وصحة جيدة أكثر من الطفل التعس الذى يعيش على التغذية الصناعية ويتعبر الغذاء كاملاً، إذا كان نافعاً ومفيداً، لتغذية الجسم،

(1) الترمذى (3380) والمستدرک (331/4).

شاملا لأركانه ومواده، ومطابقا للسن ولنوع العمل، وللحالة الصحية للإنسان، وإن الغذاء الكامل الجيد يحتوى على سبعة عناصر رئيسية أهمها:

- 1- مواد وقودية.
- 2- مواد للبناء والتجديد.
- 3- مواد للتنظيف والصيانة.
- 4- أملاح معدنية.
- 5- ماء.
- 6- مواد واقية وحافضة للصحة وهى الفيتامينات.

خلاصة المنهج الإسلامى فى رعاية الطفولة

- 1- اختيار الأم المتدبنة، ذات الحسب والنسب لأنه حق من حقوق الطفل.
- 2- الرعاية الكاملة للزوجة فى أثناء حملها وهذا واجب على الزوج.
- 3- اختيار أحب الأسماء للوليد.
- 4- التأذين فى أذن الوليد اليمنى بصوت ضعيف ثم إقامة الصلاة فى اليسرى.
- 5- تحنيك الطفل فى سقف حلقه بشئ حلو كالتمر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

6- أن يعق عن الوليد يوم سابعه ، وأن يقص شعره ويتصدق بزنته ذهباً على الفراء.

7- إرضاع الأم لطفلها من لبنها الطبيعي لمصلحة الطرفين.

8- تجنب الطفل الرضاعة من غير أمه لما فيه من الفساد والإفساد للطفل.

9- الأبناء نعمه وهبة من المولى، وعلى الوالدين أن يحسنا رعاية أبنائهما.

10- وجب المساواة بين الأبناء فى كل شئ، حتى لا يحدث بينهم نفور.

11- تأديب الأطفال على حب القرآن الكريم، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب آل بيته، وحب الصالحين.

12- الختان للطفل لأنه رأس الفطره، وشعار الإسلام، وعنوان الشريعة.

13- انتشار روح المحبة والمودة على جو الأسرة حتى لا يؤدي نزاع الأبوين إلى انحراف الطفل .

14- عدم ترك الأطفال للخدم كى يقوموا على تربيتهم لما يترتب عليه من المفاسد.

15- الإسلام يحمل الأبوين مسئولية تربية الأولاد، وذلك بأن يكونا قدوة صالحة لهم.

- 16- اختيار الرفقة الصالحة للولد ، حتى يكتسب منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادات فاضلة.
- 17- تشويق الولد إلى أشرف الكسب ، وإلى المطالعة الواعية ، وتوجيههم الوجهة السليمة.
- 18- تكوين مكتبة خاصة به.
- 19- تدريب الطفل على وسائل النظافة حسب المنهج الإسلامى المرسوم.
- 20- تقديم الأغذية المؤثرة فى بناء جسمه وعقله حتى يصبح عضواً نافعاً لنفسه ، ولجتمعه.